

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا

ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ [هود: 91]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

رحمة الظالمين
ظلم وخيم لا
يأتيه إلا ذو قلب
ثقيم

بعد أن دعا شعيب قومه إلى الاستغفار، والتوصل إليه بالتوبة بما أغلق عليهم أعدارهم، ولما أفحمهم، ولم يقدروا على جوابه، أقتطوه من رجوعهم إليه بأن ساووا أنفسهم بالبهاائم في الفهم مع وضوح كلامه⁽¹⁾، وهددوه بالقتل بما له من ضعف، وما لهم من قوة، ولكن رهطه يقف حائلًا بينه وبين ما يريدون، فالمناسبة بين الآيات بيان موقف المعاندين ممن أشفق عليهم، وأراد بهم رحمة ونجاة؛ كي لا يقع أحد في غياهب رحمة الظالمين.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿نَفَقَهُ﴾: أصل مادته (فقه)، فالفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، ف قيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه⁽²⁾. وفقهه عني؛ أي: فهمه عني⁽³⁾، والفقه هو: الفهم⁽⁴⁾، فمعنى ﴿نَفَقَهُ﴾ هنا: نفهم.

(2) ﴿ضَعِيفًا﴾: أصل مادته (ضعف)، فالضاد والعين والفاء أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوة، ويدل الآخر على أن يراد الشيء مثله. فالضعف والضعف، وهو خلاف القوة. يقال: ضعف يضعف، ورجل ضعيف، وقوم ضعفاء وضعاف⁽⁵⁾،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/363.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فقه).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (فقه).

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة: (فقه).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضعف).

وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ الفعلِ: (ضَعُف) و(استضعف)، ومضارعُه للفاعلِ والمفعولِ، وكلمةُ (ضَعُف) بالفتح، والصِّفَةُ (ضِعِيف) وجمعُها (ضِعَاف) و(ضُعَفَاء)، وكذلك صفةُ التَّفْضِيلِ (أَضْعَف)، واسمُ المفعولِ (مُسْتَضْعَف)، كلُّ ذلك مِنَ الضَّعْف: عدمُ القوَّة⁽¹⁾ فالضَّعِيفُ هنا: الَّذي لا يقوى على شيءٍ، ولا يقدرُ عليه.

(3) ﴿رَهْطُكَ﴾: أصلُ مادَّتِهِ (رَهط)، فالرَّاءُ والهاءُ والطَّاءُ أصلٌ يدلُّ على تَجَمُّعٍ في النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ. فالرَّهْطُ: العِصَابَةُ من ثلاثةٍ إلى عَشْرَةٍ⁽²⁾ والرَّهْطُ جمعٌ لا واحد له من لفظهِ⁽³⁾، وَرَهْطُ الرَّجُلِ: بَنُو أَبِيهِ⁽⁴⁾، والرَّهْطُ هنا جاءَ بهذا المعنى، ف﴿رَهْطُكَ﴾: قومُكَ وذوو قرابتِكَ الأَدْنَوْنَ.

(4) ﴿لَرْجَمَتِكَ﴾: أصلُ مادَّتِهِ (رجم)، فالرَّاءُ والحيِّمُ والميمُ أصلٌ واحدٌ يَرْجِعُ إلى وجهٍ واحدٍ، وهو الرَّمْيُ بالحجارة. فيقال: رَجِمَ فلانٌ: إذا ضُرِبَ بالحجارة⁽⁵⁾ والرَّجْمُ: القتلُ، وقد جاءَ في غير مَوْضِعٍ من كتابِ اللَّهِ، وإنما قيلَ للقتلِ رَجْمٌ؛ لأنَّهم كانوا إذا قتلوا رجلاً رَمَوْه بالحجارة حتَّى يَقْتُلُوهُ⁽⁶⁾، ومنه رَجِمَ الثَّيْبَيْنِ إذا زَنَى، والرَّجْمُ: السَّبُّ والشَّتْمُ، ومنه: قوله تعالى حكايةً عن أبي إبراهيمَ لابنِهِ إبراهيمَ، ﷺ: ﴿لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾⁽⁷⁾ [مريم: 46]؛ أي: لَأَسُبَّنَكَ وَأَشْتَمَنَّكَ، و﴿لَرْجَمَتِكَ﴾ هنا بمعنى: قتلناك رمياً بالحجارة⁽⁷⁾، وهو المعنى المناسبُ للسياق.

(5) ﴿عَزِيزٍ﴾: أصلُ مادَّتِهِ (عزز)، فالعينُ والزَّاي أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ. والعِزَّةُ لِلَّهِ جلَّ ثَناءُهُ، وهو مِنَ العَزِيزِ. وعَزَّ الرَّجُلُ: بلغَ حدَّ العِزَّةِ، واعتزَّ بفلانٍ: تشرَّفَ به⁽⁸⁾. وعَزَّ يعزُّ عِزَّةً وعَزًّا: إذا صارَ عَزِيزًا. وعَزَّ يعزُّ عِزًّا إذا قهر⁽⁹⁾ والعِزُّ خلافُ الدُّلِّ⁽¹⁰⁾، والمرادُ بالعَزِيزِ هنا: القويُّ ذو الكرامةِ والمهابَةِ والمكانَةِ.

(1) جبل، للعجم الاشتقاقِي المؤصل: (ضعف).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رَهط).

(3) الخليل، العين: (رَهط).

(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رطه).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجم).

(6) جبل، للعجم الاشتقاقِي: (رجم).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجم).

(8) الخليل، العين: (عَزَّ)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عَزَّ).

(9) ابن دريد، جمهرة اللغة: (عزز).

(10) الجوهري، الصحاح: (عزز).

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

إِكْرَامُ الْعَشِيرَةِ
عَلَى الْحَقِّ
مُلْحَقٌ بِأَهْلِ
الْعَذَابِ الْحَقِّ

لَمَّا تَقَدَّمَ نَصْحُ شُعَيْبٍ ﷺ لِقَوْمِهِ، وَإِخْلَاصُهُ فِي الْحَرَصِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، أَجَابَهُ قَوْمُهُ بِنَفْيِ فَقْهِهِمْ لَمَّا يَقُولُ، وَأَنْتُمْ يَرُونَهُ ضَعِيفًا لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ، عَاجِزًا عَنْ فَعْلِ شَيْءٍ، وَلَوْلَا نَصْرَةُ الْعَشِيرَةِ وَالْقَوْمِ الْأَقْرَبِينَ لَقَتَلُوهُ رَمِيًّا بِالْحَجَارَةِ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِكَرِيمٍ وَلَا قَوِيٍّ وَلَا ذِي مَكَانَةٍ حَتَّى يَهَابُوا قَتْلَهُ، وَإِنَّمَا تَرَكُوا قَتْلَهُ احْتِرَامًا لِلْقَوْمِ وَالْعَشِيرَةِ⁽¹⁾.

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

بِلَاغَةُ الِاسْتِثْنَاءِ الْبَيَانِيِّ:

بَعْدَ إِرْخَاءِ الْكَلَامِ
بِالنَّصِيحَةِ
جَاءَ التَّهْدِيدُ
بِالْفُطْيَةِ

لَمَّا خَاطَبَهُمْ بِالطِّفِ الْخَطَابِ وَأَحْسَنِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ مُرَغَّبًا بِأَنَّ لَهُمْ رَبًّا رَحِيمًا وَدُودًا، فَلَعَلَّ سَائِلًا يَسْأَلُ عَنْ جَوَابِهِمْ بَعْدَ حُسْنِ دَعَائِهِ ﷺ؟ فَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا تَبَيَّنَ أَنََّّهُمْ تَكَبَّوْا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَالتَّزَمُوا الْعِنَادَ مِنْهَجًا لَهُمْ، وَأَنْزَلُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْزِلَةَ الْبَهَائِمِ عَلَى وَضوحِ كَلَامِهِ⁽²⁾. وَفَصَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَمَّا قَبْلَهَا لَمَّا فِيهَا مِنْ تَحَوُّلِ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَاجَجَتِهِ وَمُجَادَلَتِهِ بِالْحُسْنَى إِلَى التَّهْدِيدِ وَالْإِهَانَةِ، وَإِنْذَارِهِمْ إِيَّاهُ بِالْوَعْدِ، ثُمَّ نَزُولِ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَوُقُوعِهِ بِالْفِعْلِ الْعَتِيدِ⁽³⁾.

دَلَالَةُ النَّدَاءِ بِالْأَسْمِ الْمَجْرَدِ:

اِقْتِرَانُ الْغَلْظَةِ
بِالْكَفْرِ سَمَّ نَاقِعٌ

عِنْدَمَا أَرَادُوا مَخَاطَبَتَهُ لِإِنْكَارِ فَهْمِهِمْ تَكَبُّرًا وَعِنَادًا، نَادَوْهُ بِاسْمِهِ الْمَجْرَدِ ﴿يَشْعَبُ﴾ دُونَ نَبِيِّ اللَّهِ أَوْ نَحْوِهِ؛ إِظْهَارًا لَجَفَائِهِمْ إِيَّاهُ، وَغَلْظَتِهِمْ عَلَيْهِ⁽⁴⁾، وَتَسْجِيلًا لِكُفْرِهِمْ بِنَبِيِّتِهِ. فَهُمْ

(1) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 232.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/362.

(3) رشيد رضا، تفسير النار: 12/121.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 9/362.

في كلِّ مرّةٍ ينادونه باسمه مُجَرَّدًا في جفاءٍ وغلظةٍ، على حين أنّه يناديهم أبدًا بـ ﴿وَيَقَوْمٌ﴾ مُتَوَدِّدًا مُتَلَطِّفًا. وَشَتَانُ بَيْنِ أَدَبِ النَّبِوَّةِ، وَمَنْطِقِ السَّفَهَاءِ⁽¹⁾.

دلالة النَّفي بـ ﴿مَا﴾:

حكى الحقُّ سبحانه على لسانهم قولهم: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾، فنفوا الفهم والعقل، والمقصودُ عدمُ التّصديقِ لا الفقهُ بمعنى عدم فهمهم كلامه أصلًا؛ فإنَّ شعبيًّا كَانَ مَقُولًا فَصِيحًا مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ⁽²⁾، و﴿مَا﴾ هنا دالّةٌ على الحال؛ فإنَّ عدمَ فقههم مُتَوَجِّهٌ إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا؛ يَعْنِي الْآنَ⁽³⁾، واختيارُ ﴿مَا﴾ يُرَادُّ مِنْهُ نَفْيُ الْفَقْهِ الْمُوَدِّي إِلَى الْإِيمَانِ، وَكُلُّ فَقْهِ مِنْ شَأْنِهِ إِعَانَةُ شُعَيْبٍ ﷺ عَلَيْهِمُ، فَمَعْنَى الْعَمُومِ يَعْمُ كُلُّ فَقْهِ مِنْ شَأْنِهِ دَعْوَتُهُمْ لِلْإِيمَانِ.

ونفيهم فقه كلامه ﷺ يحتملُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْاسْتَهْزَاءِ بِهِ، وَنَسَبَتِهِ إِلَى الْجَنُونِ، وَهَذِهِ عَادَةُ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ إِذَا خَابُوا فِي جِدَالِهِمْ، وَظَهَرَتِ الْحَقِيقَةُ، نَسَبُوا الرَّسْلَ إِلَى الْجَنُونِ⁽⁴⁾، وَهُوَ دَيْدُنُ الْمُفْحَمِينَ.

نكتةُ إسنَادِ نَفْيِ الْفَقْهِ لِلْجَمِيعِ:

عبّروا عن نفي فقههم كلامه ﷺ بقولهم: ﴿مَا نَفَقَهُ﴾ بنونِ الجمعِ مِنْ بَابِ إِزَامَةِ الْحِجَّةِ بِحَسَبِ زَعْمِهِمْ، وَهُوَ أَنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ لْجَمِيعِهِمْ قَاطِبَةً، وَهُوَ حِجَّةٌ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ عَدَمُ الْفَهْمِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ عَدَمَ الْفَهْمِ مُرَدُّهُ إِلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، وَفِي هَذَا تَكَالَبُ الظَّالِمِينَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَقِّ فِي مِمَارَسَةِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ، وَذَلِكَ بِتَعْمِيمِ الْبَاطِلِ، وَتَكْثِيرِ أَنْصَارِهِ، وَهَذَا دَيْدُنُ أَصْحَابِ الْبَاطِلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

نَفْيٌ عَامٌّ يَشْمَلُ
كُلَّ فَقْهِ مِنْ
شَأْنِهِ دَعْوَتُهُمْ
إِلَى الْإِيمَانِ

وَجْهُ النَّفْيِ
الاسْتَهْزَاءُ
وَالْحَمْلُ عَلَى
الْجَنُونِ

تَكَائُرُ أَهْلِ
الْبَاطِلِ عَلَى
الْكَفْرِ حَرْبٌ
نَفْسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1192.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/148.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/362.

(4) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/174.

نكتة التعبير بلفظ: ﴿كثيرًا﴾:

التعريض
بشعيب مع
صيانة أنفسهم
من سوء الفهم

لَمْ يَنْفِ قَوْمُ شَعِيبٍ ﷺ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَهَ كَلَامَهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاضِحٌ جَلِيٌّ، وَإِنَّمَا زَادُوا عَلَيْهِ صِفَةَ الْكَثَرَةِ ﴿كَثِيرًا﴾: لِإِرَادَةِ التَّهَانِ بِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُفْهِمْ كَثِيرُ الْكَلَامِ كَانَ ذَلِكَ حَائِلًا عَنْ فَهْمٍ مَقْصُودِهِ، وَكَانَ صَاحِبُهُ إِلَى الْهَذْيَانِ أَقْرَبَ، وَأَنَّ كَلَامَهُ فَاقِدٌ لِلنَّظْمِ، لَا حَاصِلَ لَهُ، مُمْتَنِعُ الْوُجُودِ فِي الْخَارِجِ⁽¹⁾. وَلِلْفِرَارِ مِنَ الْمَكَابِرَةِ وَالْعِنَادِ، وَالتَّنَكُّبِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا يَرَادُ بِهِ الْكُلُّ وَالْعُمُومُ؛ وَلَأَنَّ لَفْظَ ﴿كَثِيرًا﴾ يَأْبَى أَنْ يَحْمَلَ كَلَامَهُمْ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى عَدَمِ الْقَبُولِ⁽²⁾، فَهَمْ يُرِيدُونَ التَّعْرِیْضَ بِهِ، فَإِنَّ عَدَمَ فَقَهٍ الْكَثِيرِ يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا فِي الْقَائِلِ، إِذْ هُمْ يَفْقَهُونَ الْكَلَامَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ كَثِيرًا مِنْهُ، وَفِيهِ مِنَ الْبِدَاءِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْبَاطِلِ مَا يَنْدُبُ لَهُ جِبِينَ الْكَرِيمِ.

دلالة التأكيد:

يَعْلَمُ الْمَكَابِرُ
فِي لَحْنِ قَوْلِهِ
وَفَلَتَاتِ كَلَامِهِ

أَكَّدَ قَوْمُ شَعِيبٍ ﷺ رُؤْيَاهُمْ لَهُ بِحَرْفِ التَّوَكِيدِ (إِنَّ) وَلَامِ الْإِبْتِدَاءِ⁽³⁾ وَبِصِيغَةِ الْجَمْعِ ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ﴾؛ مَبَالِغَةً فِي تَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ عِلْمَهُمْ ذَلِكَ فِيهِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَعْرِیْضًا بِغَبَاوَتِهِ⁽⁴⁾ فِي ظَنِّهِمْ، حَاشَا ﷺ.

سرُّ التعبير بفعل الرؤية:

تحقيق الرؤية
دليل الاحتياط
بسبب خوف
الإيمان به

عَبَّرَ بِفَعْلِ الرُّؤْيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ﴾ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ التَّعْبِيرَاتِ؛ لِأَنَّ يَحْقِّقُهُ فَعْلُ الرُّؤْيَةِ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ، فَنَزَّلُوهُ مَنْزِلَةً مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِهِمْ، فَصَرَّحُوا بِفَعْلِ الرُّؤْيَةِ⁽⁵⁾، وَهَذَا الْإِحْتِرَازُ مِنْهُمْ يَوْمًا إِلَى خَوْفِهِمْ مِنْ إِيْمَانِ النَّاسِ بِهِ، فَإِنَّ الْوَاقِعَ لَا يُحْكَمُ كَلَامَهُ، وَلَا يَكْتَرُ بِكَثَرَةِ الْأَدْلَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/362.

(2) الألوسي، روح المعاني: 6/318.

(3) محمّد الهلال، تفسير القرآن التّرجي: 12/86.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/149.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/148.

مُنْصِفًا بَاحِثًا عَنِ الْحَقِّ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَخَوْفٌ مِّنَ الْحَقِّ الْأَبْلَجِ، وَهَذَا شَأْنُ الطُّغْيَانِ الْبَاطِلِ فِي مَنَاصِرَةِ الْفِكْرِ الْفَاحِشِ لِمُوَاجَهَةِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ.

سُرُّ التَّعْبِيرِ بِالظَّرْفِ ﴿فِينَا﴾:

التَّعْبِيرُ بِالظَّرْفِ ﴿فِينَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾^ط مِنْ بَابِ الْإِحْتِرَاسِ؛ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الضَّعِيفُ بِمَعْنَى الضَّرِيرِ مِثْلَمَا وَرَدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ التَّقْيِيدُ بِالظَّرْفِ هَذَا؛ لِأَنَّ "فِينَا" يَصِيرُ لَعْوًا؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْمَى يَكُونُ أَعْمَى فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ، وَإِرَادَةُ لَازِمِهِ وَهُوَ الضَّعْفُ بَيْنَ مَنْ يَنْصَرُّهُ وَيَعَادِيهِ، وَلَا يَخْفَى تَكْلُفُهُ⁽¹⁾؛ فَاحْتَرَسَ بِالظَّرْفِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرِ الْمُرَادِ.

الاحتِراسُ من
إِرَادَةِ مَعْنَى غَيْرِ
مُرَادٍ

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِوَصْفِ الضَّعْفِ:

فِي مَعْرِضِ مَجَادِلَتِهِمْ مَعَهُ ﷺ وَصَفُوهُ بِكَوْنِهِ ﴿ضَعِيفًا﴾^ط، لِيَشْمَلَ الْبَدَنَ وَغَيْرَهُ، وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّهْدِيدِ، كَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: "لَا تَتَعَرَّضْ لِسُخْطِنَا؛ فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْ مَكْرُوهِ نَحْلُهُ بِكَ، بِقُوَّةِ عَقْلٍ وَلَا جِسْمٍ وَلَا عَشِيرَةٍ"⁽²⁾، وَهَذَا تَهْدِيدٌ عَامٌّ، يَدُلُّ عَلَى عَكْسِ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْإِعْتِقَادِ فِيهِ.

شَمُولُ الضَّعْفِ
لِلْبَدَنِ وَالْعَقْلِ
وَالْعَشِيرَةِ

دَلَالَةُ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ:

تَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾؛ لِإِفَادَةِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ؛ أَي: أَنْتَ فِينَا ضَعِيفٌ لَا فِي غَيْرِنَا، فَإِذَا كُنْتَ تَعْتَقِدُ قُوَّتَكَ فِي غَيْرِنَا، فَفِينَا أَنْتَ ضَعِيفٌ، فَفِيهِ إِثْبَاتُ الْقُوَّةِ الْفَائِضَةِ لَأَنْفُسِهِمْ عَلَى غَيْرِنَا، وَفِيهِ تَمْزِيقُ الْقِبَائِلِ، فَهَمَّ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ قَبِيلَةً وَاحِدَةً، وَجَعَلُوا رَهْطَهُ فِي جِهَةٍ أُخْرَى، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِذَا كُنْتَ تَعْتَقِدُ قُوَّتَكَ فِي رَهْطِكَ وَجَمَاعَتِكَ،

إِشَارَاتُ التَّهْدِيدِ
فِي إِنْهَاءِ الْحَوَارِ
وَحَرْبِ الْجَوَارِ

(1) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِي: 6/318.

(2) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 9/363.

فمينا أنت ضعيفٌ، فتنبّه ولا تتماذ، وهذه إشاراتُ إنهاء الحوار،
وسد منافذ الجوار.

معنى الواو ودلائلها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ دالةٌ على العطف، فقد عطفَت هذه الجملة على سابقتها قصدًا إلى ما مُهَّد إليه من المُقدِّمات، فالمعنى لا شيء يصدُّنا عن رجمك إلَّا رهطك فينا؛ فإنَّك لما طعنت في ديننا فقد أوجبت علينا رجمك⁽¹⁾.

سرُّ التعبير بـ ﴿وَلَوْلَا﴾:

أداة ﴿وَلَوْلَا﴾ في الجملة دالةٌ على الامتناع لوجود؛ أي: امتنع رجمهم إيَّاه بمدعاة قرابة رهطه منهم؛ فقد كانوا "من أهل ملَّتِهِمْ؛ فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم"⁽²⁾ مع أنَّ قرابته نَفَرٌ قليلٌ ليس يُخشى بأسهم ولا قوتهم، وإنَّما كان الإبقاء كرامةً لتلك القرابة؛ ولأنَّهم من المخلصين في دينهم⁽³⁾.

بلاغة حذف خبر ﴿وَلَوْلَا﴾:

الخبرُ بعد ﴿وَلَوْلَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ محذوفٌ، وهذا شأنه أبدًا⁽⁴⁾ إلَّا ما استثنى، وتقديره مرتبطٌ بمعنى الكرامة والقرابة الحاصلة لرهطه، وآية ذلك قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِينَ﴾ وقوله: ﴿أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: إنَّ وجودَ رهطه ليس وجودًا مطلقًا بل هو وجودٌ تكريم وتوقير، فلولا رهطك مُكْرَمُونَ⁽⁵⁾ مُوقَّرُونَ عندنا لنالك منَّا ما تعلم، وفي ذلك إيماءٌ إلى سرعة بديهته وقوَّة إجابته لهم، وإنكاره على قبيحهم البذي المنطوي على خُبث.

وجود الرِّهْطِ
علّة الخلاص
ومن دونهم
فالحكم للرجم

المانع من الرِّجم
كرامة الرِّهْطِ
للمعدودين
وقرباتهم

عقل النَّبِيِّ وقوَّة
إجابته دليل
البداية والكرامة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/149.

(2) الرِّجَاح، معاني القرآن وإعرابه: 3/74.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/149.

(4) ابن بابشاذ، شرح اللقمة للحسيبة: 1/253.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/149.

سرُّ التعبيرِ بالرَّهْطِ دُونَ الْقَوْمِ:

استعمل النَّظْمُ مفردة الرَّهْطِ دُونَ الْقَوْمِ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ للدلالة على قِلَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ الرَّهْطَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الرَّجُلِ أُريدَ بِهِ قَرَابَتُهُ الْأَدْنَوْنَ، فَهَم طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ لِهَذَا السَّبَبِ؛ وَلَئِنْ قَوْمَهُ قَدْ نَبَذُوهُ، وَلَمْ يَكُونُوا مُنَاصِرِينَ لَهُ؛ وَلَئِنْ رَهْطُهُ مِنْ خَاصَّةِ قَوْمِهِ؛ فَكَانَ مُسَوِّغًا لِدَفْعِ الْأَذَى عَنْهُ إِكْرَامًا لِقَرَابَتِهِمْ⁽¹⁾، وَفِيهِ كَشْفٌ تَارِيخِيٌّ لِقَرَابَةِ شَعِيبٍ ﷺ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا يُقِيمُونَ الْكَرَامَةَ لِبَعْضِهِمْ، وَيُظْهِرُ مِنْ هَذَا أَنَّ رَهْطَهُ كَانُوا شَدِيدِي الْكُفْرِ، وَهَم مُسَانِدُونَ لِقَوْمِهِمْ عَامَّةً، وَلَوْ كَانُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ لِلْقَوَا مِنْ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ اضْطِهَادًا وَمَنَافَةً، فَاتَّفَقَ الرَّهْطُ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا إِكْرَامًا لِهَذَا الْإِتِّفَاقِ الْعَامِّ الْإِبْقَاءِ عَلَى شَعِيبٍ ﷺ دُونَ قَتْلِهِ بِاتِّفَاقٍ عَامٍّ وَظَاهِرٍ.

دلالة الإضافة:

أشاروا إلى ضعفِ العشيرةِ والتَّخْلِيلِ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَالتَّهْوِينِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَانْحِطَاطِ اعْتِبَارِهِمْ بِتَعْبِيرِهِمْ بِ (الرَّهْطِ) فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾؛ أَي: قَتَلْنَاكَ شَرًّا قَتْلَةً؛ فَإِنَّ الرَّهْطَ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ، وَأَكْثَرُ مَا قِيلَ: إِنَّهُمْ أَرْبَعُونَ⁽²⁾.

دلالة اللام:

لَمَّا أَرَادُوا التَّعْبِيرَ بِالرَّجْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ جَاؤُوا بِاللَّامِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّأْكِيدِ؛ أَي: لَوْ شِئْنَا لَرَجَمْنَاكَ، لَوْلَا رَهْطُكَ الْمُقَرَّبُونَ الْقَائِمُونَ عَلَى دِينِنَا؛ فَيَسْتَفَادُ مِنَ اللَّامِ تَأْكِيدُ التَّهْدِيدِ لَهُ ﷺ.

سرُّ التعبيرِ بلفظِ الرَّجْمِ:

عَبَّرَ بِالرَّجْمِ؛ وَهُوَ الْقَتْلُ رَمِيًّا بِالْحَجَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾،

رهط شعيب
على ملّة
قومهم في
الكفر، ولذلك
حموه من
البطش على
قلّتهم

التَّخْلِيلُ مِنْ شَأْنِ
الْكِبَارِ هَمْسُ
الصَّغَارِ

أَرَادُوا التَّحْقِيرَ
الَّذِي لَا مُجَرَّدَ
التَّهْدِيدِ الْبَلِيغِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/149.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 3/570.

فإنَّهُ وإنَّ كَانَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ حَكَمٌ مَّنْ يَخْلَعُ دِينَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونَ مَصِيرُهُ قِتْلَةً خَزِيٌّ وَذُلٌّ⁽¹⁾، فَاخْتِيَارُ الرَّجْمِ لَا لِمَجَرَّدِ التَّهْدِيدِ الْبَلِيغِ، بَلِ لِلتَّحْقِيرِ الدَّلِيلِ، وَهُوَ اللَّاتِقُ بِهِمْ حَالًا وَمَالًا.

نكتة إسناد الرجم للجميع:

الاجتماع على
إبذاء الرجال
يزيدهم قوة
وثباتاً

فِي قَوْلِهِمْ: ﴿لَرَجْمَنَّكَ^ط﴾ بِالنُّونِ مَجْموعاً دَلَالَةً عَلَى أَنَّهُمْ مُتَمَالِئُونَ عَلَيْهِ، مُجْتَمِعُونَ عَلَى إِبْذَائِهِ؛ لِإِدْخَالِ الرَّهْبَةِ وَالْخَوْفِ فِي نَفْسِهِ؛ فَجَمِيعُ الْقَوْمِ عَلَى مَنْهَجٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَدْعَى لِلرَّجُوعِ عَنْ دَعْوَتِهِ بِحَسَبِ زَعْمِهِمْ، وَفِي مُنْتَهَى ظَنِّهِمْ، وَمَبْلَغِ فَقْهِهِمْ.

دلالة التعبير بالماضي ﴿لَرَجْمَنَّكَ﴾:

إظهار الجدبة
في العداوة تؤكد
عدالة تعذيبهم

لَقَدْ كَانَ الْمَعَارِضُونَ لِشُعَيْبٍ ﷺ، الرَّافِضُونَ لِدَعْوَتِهِ عَلَى مَسْتَوَى مِنَ الْجَدْبَةِ وَاضِحٍ فِي الشَّرْعِ بِإِذْنِهِ وَرَجْمِهِ، وَأَيَّةُ ذَلِكَ تَعْبِيرُهُمْ عَنْ رَغْبَتِهِمْ بِرَجْمِهِ بِصِغَةِ الْمَاضِي الدَّالِّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالتَّحَقُّقِ، إِلَّا أَنَّ مَا مَنَعَ ذَلِكَ رَهْطُهُ بِاتِّصَافِهِمْ بِصِفَةِ الْقِرَابَةِ وَالِدَيْنِ؛ أَي: إِنَّ الرِّجْمَ هُوَ الْعِقَابُ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ، وَلَوْلَا وَجُودُ الْمَانِعِ لَكُنْتُ مِنَ الْمَرْجُومِينَ.

دلالة إيلاء النفي المسند إليه، ومجيء المسند مشتقاً:

تخصيص العزة
بالرَّهْطِ دُونَ
شُعَيْبٍ

إِذَا وَلِيَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ حَرْفَ النَّفْيِ كَقَوْلِهِمْ: مَا أَنَا قَلْتُ هَذَا؛ أَي: إِنِّي لَمْ أَقُلْهُ مَعَ أَنَّ غَيْرِي قَالَهُ، فَفَاءُ ثَبَتُهُ التَّخْصِصُ، وَمِنْهُ خَاتَمَةُ الْآيَةِ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، أَي: إِنَّ الْعَزِيزَ عَلَيْنَا رَهْطُكَ فَحَسَبُ لَا أَنْتَ؛ لِذَلِكَ اسْتَفْهَمَ فِي الْآيَةِ الْآلِاحَةِ عَنْ عِزَّةِ رَهْطِهِ عَلَى اللَّهِ⁽²⁾، وَهَذَا شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيَانِيِّينَ الَّذِينَ انْتَصَرُوا لِلزَّمْخَشَرِيِّ فِي صَحَّةِ التَّخْصِصِ بِالْمُسْتَقَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْنَدُ فِعْلاً، كَمَا هُوَ رَأْيُ السَّكَّاكِيِّ وَجُمْهُورِ الْبَيَانِيِّينَ خِلَافًا لِلْمَنْسُوبِ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/150، والأبيجي، جامع البيان في تفسير القرآن: 2/195.

(2) السيوطي، معترك الأقران: 1/141.

(3) الألويسي، روح المعاني: 6/319.

دلالة التعبير بضمير الخطاب:

عَبَرُوا عَنْ نَفْيِهِمُ الْعِزَّةَ عَنْ شَعِيبٍ بِمَنَادَاتِهِ بِضَمِيرِ الْخَطَابِ ﴿وَمَا أَنْتَ﴾؛ لإفادة الاهتمام والاختصاص؛ لأنَّ (ما) نافية للحال، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالزَّمَانِ؛ فَيَكُونُ مَدْخُولُهَا فِعْلًا أَوْ شِبْهَهُ⁽¹⁾، فَلَمَّا بَاسَرَتِ الْأَسْمَ أَفَادَ الْمَعْنَى اهْتِمَامًا وَتَخْصِيصًا؛ أَي: لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ نَنْفِي عَنْهُ الْعِزَّةَ إِلَّا أَنْتَ.

نفى العِزَّةَ عن
شعيب وإثباتها
للجميع

غرض التعبير بحرف الاستعلاء:

جاء حرف الجرّ (على) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ دون غيره مع صفة العزّيز الدالّة على الغلبة والقهر والشّدّة، فعُدّاه بحرف الاستعلاء لما فيه من معنى الشّدّة ووقوعه على النّفس كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128]، أي: شديدٌ على نفسه⁽²⁾.

تقوية معنى
الشّدّة والغلبة
والوقوع على
النّفس

نكتة تقديم الجارّ والمجرور:

قُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿عَلَيْنَا﴾ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾؛ لإفادة الحصر والاختصاص؛ اختصاص النّفي؛ أَي: إِنَّ عَدَمَ الْعِزَّةِ مَقْصُورٌ عَلَى شَعِيبٍ ﷺ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى رَهْطِهِ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى نَفْيِ الْاِخْتِصَاصِ⁽³⁾؛ فَإِنَّ "الْعَزِيزَ عَلَيْنَا - يَا شَعِيبُ - رَهْطُكَ لَا أَنْتَ؛ لَكُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِنَا"⁽⁴⁾.

الحصرُ فعُدُّمُ
العِزَّةِ مَقْصُورٌ
عَلَيْكَ لَا
يَتَجَاوَزُكَ إِلَى
رَهْطِكَ

فائدة الباء:

دَخَلَتِ الْبَاءُ عَلَى الْخَبَرِ ﴿بَعِزٌّ﴾ لإفادة التّوكيد، وهذا شأنها مع لَيْسَ وَمَا شُبَّهَ بِهَا⁽⁵⁾؛ فَإِنَّهُمْ نَفَوْا عَنْهُ الْعِزَّةَ الْمَانِعَةَ مِنْ رَجْمِهِ، وَأكَّدُوا ذَلِكَ بِالْبَاءِ؛ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: فَإِنَّكَ لَسْتَ بـ "كَرِيمٍ مُكْرَمٍ مُعْظَمٍ

تأكيد نفي عِزَّةٍ
شعيبٍ على
قومه يفوح
بعداوةٍ بليغةٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/363.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/150.

(3) الألوسي، روح المعاني: 6/319.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 232.

(5) ابن السّراج، الأصول في التّحوي: 1/90.

حَتَّى نَكْفَ عَنْكَ لِأَجَلِ عَزَّتِكَ وَمَنْعَتِكَ عِنْدَنَا، بَلْ تَرَكْنَا رَجْمَكَ لِعِزَّةِ
رَهْطِكَ عَلَيْنَا؛ لِمَوَافَقَتِهِمْ لَنَا فِي الدِّينِ لَا لِقُوَّةٍ شَوْكَتِهِمْ⁽¹⁾.

سُرُّ اخْتِيَارِ وَصْفِ الْعِزَّةِ:

اعتقادُ النصرَةِ
بالكثرة لا يكونُ
بالكفرِ الأجردِ
والحقْدِ الأسودِ

فِي اخْتِيَارِ وَصْفِ ﴿بِعَزِيزٍ﴾ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْصَافِ كَالْكَرِيمِ؛
فَلَأَنَّهُ لَا يَعْجِزُهُمْ قَتْلُهُ، وَلَا يَشْتَدُّ عَلَى نَفْسِهِمْ؛ كَأَنَّهُمْ يُخَاطَبُونَهُ:
وَلَأَنَّكَ هَيِّنٌ مُحْتَقَرٌ مُزْدَرَى عِنْدَنَا، لَيْسَ لَكَ نَاصِرٌ مِنَّا؛ وَلَأَنَّ عِزَّةَ
الْمَرْءِ عَلَى قَبِيلَةٍ لَا تَكُونُ فِي غَلْبَةِ ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ؛ فَلَا يَغْلِبُ الْوَاحِدُ
الْجَمَاعَةَ؛ فَالْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ؛ وَإِنَّمَا عِزَّةُ الْمَرْءِ بِقَوْمِهِ وَقَبِيلَتِهِ⁽²⁾، وَهَذَا ظَنُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ الْعِزَّةَ بِكَثَرَتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ، وَلَوْ عَلَى الْكُفْرِ الْأَسْوَدِ
وَالْفَحْشِ الْأَبْغَضِ.

دَلَالَةُ تَنْكِيرِ ﴿بِعَزِيزٍ﴾:

نفْيُ الْإِتِّصَافِ
بِأَدْنَى أَنْوَاعِ
الْعِزَّةِ

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِـ ﴿بِعَزِيزٍ﴾ بِصِغَةِ التَّنْكِيرِ؛ لِإِفَادَةِ الْإِبْهَامِ وَالشُّيُوعِ؛
أَي: لَسْتُ بِعَزِيزٍ عَلَيْنَا، وَلَا بِأَدْنَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِزَّةِ، وَهُوَ مَا يَتْلَاءُ
مَعَ السِّيَاقِ.

عَلَّةُ الْوَصْلِ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ:

إِفَادَةُ حَكْمٍ
جَدِيدٍ مُقَدَّمٍ عَلَى
التَّوَكِيدِ

عُطِفَتْ جُمْلَةُ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ عَلَى مَا سَبَقَ، فَهِيَ وَإِنْ
كَانَتْ مُؤَكَّدَةً لِمُضْمُونِ مَا قَبْلَهَا، وَحَقُّهَا الْفَصْلُ لَا الْعُطْفُ؛ فَلَأَنَّهَا قَدْ
أَفَادَتْ حَكْمًا يَخْصُ الْمَخَاطَبَ؛ فَكَانَتْ جَدِيرَةً أَنْ تُعْطَفَ عَلَى الْجُمْلِ
الَّتِي تَفِيدُ أَحْوَالَهُ ﷺ، كَاتِّهَامِهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَقْوَالَهُ، وَمَا بَعْدَهَا
مِنْ جُمْلٍ⁽³⁾، وَهَذِهِ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ أَصْلًا فِي قَاعِدَةِ التَّأْسِيسِ، مُقَدَّمًا
عَلَى التَّوَكِيدِ.

(1) الْقَنُوجِي، فَتْحُ الْبَيَانِ: 6/235.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/150.

(3) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 12/150.

بلغة التذليل:

ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ تأكيداً لمضمون قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾؛ لأنه إن لم يكن قوياً في نفوس قومه، فإنهم لم يكفوا عن رجمه، مع أنه مستحق لهذا الرجم في اعتقادهم إلا كرامة لرهطه الباقين على دينهم لا خوفاً منهم⁽¹⁾.

توكيد إثبات
العزة للقوم
دونه

دلالة توالي المؤكّداً في الفاصلة:

ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾؛ مُضمّناً إيّاها جملة من المؤكّداً لإرادة النفي بأشده وأقواه؛ فأكدوه بالخطاب وتكراره، وبالباء، وتقديم ﴿عَلَيْنَا﴾، وذلك اغترار بقوتهم، وسطوتهم، وتأكيداً بأنّه في قبضة أيديهم⁽²⁾.

الغترار بالقوة
وعظيم السطوة

بلغة الكناية:

عبر قوم شعيب عن ضعفه وهوانه عندهم بقولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾؛ لأنّ المغزى من كلامهم هذا أن يكون تحذيراً له من الاستمرار على مخالفة رهطه؛ فإنهم إذ ذاك على وشك أن يخلعوه ويرجموه وينبذوه⁽³⁾، فهي كناية بليغة عن وصفهم له بما أرادوا، والكناية أبلغ من الوصف؛ لأنها تحمل الدليل معها.

مغزى كلامهم
التحذير من
مخالفة رهطه

❁ الفروق المعجمية:

الفقه والفهم:

خاطب قوم شعيب شعيباً بقولهم: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا﴾، فنفوا عن أنفسهم الفقه بما يأتي به ﷺ، ويجوز أن يكون كلامهم على طريقة (لا نفهم) إلا أنهم آثروا استعمال هذه اللفظة؛ لأنها أدق في وصفهم؛ لأنّ الفقه هو العلم والفهم بالشئ على طول تأمل

الفقه الفهم
العميق،
والفهم أعم،
وفي اختيار الفقه
تعريض وتقبيح

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/150.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3744.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/150.

ونظر⁽¹⁾، فالفقه أعمق من الفهم، فهو الفهم الدقيق العميق الذي يؤثر في النفس⁽²⁾، وكأنهم في اختيارهم الفقه قد عرضوا بشعيب؛ أي: إننا تبجرنا في محاولة معرفة غرض كلامك، لكننا لم نهتد؛ فالعلة بك لا بنا، وفي ذلك افتراء على شعيب، وإنما كان غرضهم الإعراض عن دعوته وكلامه.

الرَّهْطُ وَالْقَوْمُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ جاء بلفظ الرهط، وهم عشيرته التي يتقوى بها، وهم من ثلاثة إلى عشرة، ويكونون من أب واحد⁽³⁾، فعددهم يدل على القلة إلا أن كونهم على دينهم كان ذلك مانعاً من رجمه، أما القوم فهم مجموعة الرجال القائمين بشؤون بعضهم بعضاً، وهو في أصله يدل على الجماعة من الناس⁽⁴⁾، ولما كان الرهط ما له صلة قرابة من الرجل كان التعبير به أولى من القوم؛ لأن المانع من رجمه من الصادقين عن دعوته هم من تجمعه وإياهم قرابة، وهم الرهط، فلا يحسن التعبير بالقوم لانتهاء علة القرابة والعشيرة.

العزة والمنعة:

كان من دلالات ضعف شعيب عندهم انتفاء العزة عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾، فقد وصفه بصفة العزیز، وهو الممتنع الذي لا ينال بالأذى⁽⁵⁾ فضلاً عن كونه قوياً، فلا يكون عزيزاً من لم يكن قوياً؛ ذلك أن القوة تسبق العزة، أما المنيع فهو أن يحال بينه وبين ما يراود منه، وهو خلاف الإعطاء⁽⁶⁾، وأكثر استعماله في

الرَّهْطُ
مَوْصُوفُونَ
بِالْقَرَابَةِ، وَهُمْ
عَلَّةٌ مَنَعَ رَجْمِهِ،
وَالْقَوْمُ جَمَاعَةٌ
مِنَ النَّاسِ

العَزَّةُ مُقْتَرَنَةٌ
بِالْقُوَّةِ السَّابِقَةِ،
وَالْمَنَعَةُ الْحِيلَةُ
دُونَ الْإِعْطَاءِ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 412.

(2) رضا، تفسير النار: 12/122.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 548.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 357.

(6) ابن منظور، لسان العرب: (منع).

منع الإعطاء والمنح؛ فهو دون العزيز في القوة والتمكُّن، وتعبيرُ قومه الناكبين عن طريق الهدى بصفة العزيز قصدًا منهم إلى أنَّهم مُتفضِّلون عليه في عدم إيذائه، وإنَّ كان على الغاية من القوة بأنَّ يكون عزيزًا.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 21، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-18-0

يشتمل على ارجاعات بليوجرافية.

مج. 21: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-18-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»